الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات لغوية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة العاشرة: فن المسرح

المسرحية فن وافد على ثقافتنا المعاصرة، فهي فن إغريقي بامتياز عرفه اليونان قبل الميلاد بقرون في عصورهم الزاهرة، وعن اليونانيين أخذت البشرية هذا الفن مثلما أخذت الفلسفة والمنطق، ويعد الفعل المسرحي أقرب الأنشطة الفنية إلى الحياة البشرية وإلى مرحلة الطفولة الإنسانية في بدايات تاريخها القديم، فقد ارتبط بأقدم حركة إبداعية صوّر الإنسانُ من خلالها العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بمعتقداته، واعتمد عليه اعتمادا رئيسيا في طرح القضايا المتعلقة بمصير الإنسان، وما تعلق منها بموضوع الألوهية وبتفسير الوجود والموجودات، كما عالج قضايا اجتماعية أيضا، ويعد" أسخيلوس"، صوفوكليس "و"يوربيدس "أول من وضع أسس فن المسرح الأولى وظهر عندهم في شكلين :التراجيديا والكوميديا.

تحديد المفهوم:

- المسرحية فن أدبي كتب ليمثل، يعالج حدثا في زمن محدد ومكان محدد، دون الدخول في التفاصيل الجزئية الكثيرة، وفق حوار مختصر مركز بلغة مفهومة تجري على ألسنة أشخاص صنعوا أحداثها.
- والمسرحية قصة تمثيلية تعرض موضوعا ما عن طريق حوار بين الشخصيات ليصل إلى ما يسمى بالصراع ثم يبدأ يخف تدريجيا ليصل إلى الحل أو ما يسمى بلحظة التنوير.
- المسرحية هي المكتوب الذي على ضوئه يكون التمثيل فنطلق عليه نصا مسرحيا أو مسرحية.
- المسرحية قصة تمثيلية يقوم بعرضها على خشبة المسرح ممثلون يعتمدون في أداء أدوارهم على الحوار والحركة، ضمن مدة محدودة قد تبلغ ثلاث ساعات.

تختلف المسرحية عن المسرح لأنه بصفة عامة هو المكان المخصص للعرض المسرحي، ويعرف على أنه ذلك الفن الدرامي الذي يتناول العناصر مجتمعة والمتمثلة في: ممثلين، مخرج، منتج، أضواء، ركح أو مكان، متفرجين ...

- الفن المسرحي: هو الفن الدرامي)تمثيلي(الذي يقوم على الصراع والفرجة. ودرامي كلمة يونانية أصلها ذراما بالذال كما يقول سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة لأن اللغة اليونانية لا يوجد فيها حرف الدال، لكن عندما انتقلت إلى العربية أصبحت تطلق دراما بالدال ويعني تمثيل قائم على الصراع والفرجة.

عناصر المسرحية:

- **القصة:** وهي النص الذي من خلاله يؤدي العمل غرضا معينا أشيئا مستهدفا يأتي عن طريق سرد أحداث معينة سواء أكان نثرا أم شعرا في قالب القصص.
- **الشخصيات:** وهنا لابد للكاتب أن يختار شخصيات ملائمة كي تؤدي دورها على أحسن وجه " ومن هنا يجب على الكاتب أن يحيط خبرا للإنسانية في مظاهرها المختلفة ".

فالشخص النبيل الأنيق المظهر الفارع العود لا يصح أن يظهر على المسرح أعرج قزما هزيل الهيئة والسيدة الجميلة الرشيقة لا تمثلها إمرأة بدينة.

- **الحوار:** وهو الرابط الرئيس ي بين تلك الشخصيات والمحرك الأساسي للمسرحية. حيث يبين علاقة كل منهم بالآخر وشعورهم وطبقتهم وحظهم من الثقافة (يسمى الحوار الذي يتوزع على ألسنة الشخصيات الجملة المسرحية).

ملاحظة: قد نجد في كثير من المسرحيات أن الوقت يطول دون أن يبدأ الحوار لأن ذلك من صميم التمثيل له دلالته الخاصة.

- **الحركة** يقصد بها ذلك الجهد العضلي الذي تقوم به الشخصية لأداء مهامها المكلفة بها، وكذا أدوارها على أحسن وجه.

العقدة: وهي التي تمثل المشكل المقصود من طرف الكاتب بعد تجميع جزئيات من الأحداث واشتراكها لتشكيل أزمة .

ملاحظة: درجة التعقيد تختلف من مسرحية إلى أخرى.

- **الحل:** وهو اللحظة التنويرية التي يجعلها الكاتب أو صاحب القصة آخر ما تختتم به المسرحية ويجب أن يكون هذا الحل عادة مقبولا عند العقول العادية.

وظائف المسرح:

- **وظيفة التطهَير:** وهي من خصائص المسرح في المأساة عند أرسطو، وتعني تطهير عقول الناس وأفعالهم وتنقيتها عن طريق إثارة الخوف مما يحدث للبطل وإثارة كوامن شفقتهم ورحمتهم وترجع أصول هذه الفكرة إلى معالجة الداء بالداء، فيعالج الداء الحقيقي الواقعي عن طريق إثارة شبيهة المتخيل غير الواقعي إثارة فنية قائمة على حشد المشاعر وتوجيهها بغاية تطهير النفس من أدرانها.
- الوظيفة الدعائية الجماهيرية وذلك عبر التحريض على أيديولوجية معينة.
- الوظيفة الجمالية بغرض خلق المتعة بالجمال وهي مهمة الفن عموما.

- الوظيفة الترفيهية من خلال التمتع بأوقات الفراغ.
- الوظيفة التعليمية والتوعوية من خلال تيسير بعض الدروس العلمية وتمثيل بعض قضايا المجتمع المتعددة.
- وإضافة إلى حرص فناني المسرح على إمتاع الجمهور وتسليته وتثقيفه، فإن المسرح هو خير أداة للتوجيه القومي والخُلقي وبعث النهضة في الأمة، فهو من أشد الفنون تأثيرا في النفوس من خلال الحوار الحي المعبر والأسلوب الجميل المؤثر، والأحداث والصراعات التي تُجَسَّد حركيا أمام المشاهدين، فينتقلون إلى جوّها النفس ي الخاص، وينفعلون بتموجاتها وأزماتها، ويتعاطفون مع أشخاصها، مما يترك في نفوسهم آثارا لا تمحي وفي أذهانهم قناعات لا تزول.

المسرحية في الأدب العربي الحديث:

مرحلة الترجمة والاقتباس:

ظهر الاهتمام بالمسرح بمعناه الاصطلاحي الدقيق في الأدب العربي تمثيلا وتأليفا في النهضة الحديثة التي أعقبت الحملة الفرنسية على مصر، وبالتحديد مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فانتقل إلى القرّاء العرب عن طريق الترجمة التي عمل الأدباء على التعريف من خلالها بكثير من الأعمال المسرحية العالمية، وكان للبنانيين والسوريين الدور الأكبر في هذه العملية، واعتبرت بيروت النافذة التي أطلّ منها العرب على أدب وحضارة الغرب. وانصبت الترجمة على المسرح الفرنسي والإنجليزي، ومعظم ما ترجم عن الفرنسية كان لراسين وكورناي وموليير وفيكتور هيغو وفولتير، أما عن الإنجليزية فمسرحيات شكسبير وبيرنارد شو.

ولهذا كان أول من أدخل الفن المسرحي في البلاد العربية هو مارون نقاش اللبناني (1817 – 1855) الذي اقتبسه من إيطاليا حين سافر إليها في سنة 1841، وابتدأ تمثيله باللغة العربية الدارجة، وكانت أولى المسرحيات التي قدمها لجمهوره العربي في بيروت هي رواية البخيل، المعربة عن موليير وذلك في أواخر سنة 1847 ، ثم قد م روايته الثانية (أبو الحسن المغفل و هارون الرشيد وهي مستوحاة من ألف ليلة وليلة) في سنة 1849 .

ويظهر كذلك أبو خليل القباني(1836 – 1902) الذي أسهم في حركة الاقتباس والنقل التي كانت سائدة في عصره، فترجم مسرحية (متريدات) التي اقتبسها عن(راسين). وفي عام 1865 قدّم بعض المسرحيات الانتقادية التي أثارت عليه الرأي العام المحافظ في البلاد. واضطرت الحكومة العثمانية إلى إصدار أمر يمنع التمثيل العربي في سورية ليرحل إلى مصر سنة 1884 .

أما في مصر فأول مسرح عربي أنشئ بها هو ذلك الذي قام به يعقوب روفائيل صنوع صاحب كتاب (صُحف أبونظارة) (1839 – 1912) بالقاهرة في يوليو سنة1876 وقد اقتبسه كذلك من إيطاليا التي درس بها ثلاث سنوات، وكان يجيد عدة لغات مكنته من أن يدرس هذا الفن دراسة متقنة، وقد مثل في خلال سنتين عاشهما مسرحه اثنتين وثلاثين مسرحية ما بين مقتبس من الأدب الغربى صبغه صبغة محلية، وما بين موضوع يعالج مشكلات اجتماعية، وإن غلبت على لغة مسرحياته اللغة العامية، وبعضها يحتوى على فصل واحد وبعضها على خمسة فصول، وقد راجت رواجا عظيما على الرغم من أنها تمثل المجتمع المصري بعيوبه في سخرية لاذعة أحيانا . وقد شجعه إسماعيل وأثابه على جده في وضع المسرحيات وإخراجها وتمثيلها، وحضر بعض مسرحياته، ولقبه بموليير مصر. لكن جرأته جعلته ينتقد بعض الأمراء ويسخر من أداء الحكومة وألف في ذلك مسرحية الوطن والحرية، فأمر بإغلاق مسرحه ونُفي إلى باريس.

مرحلة التأليف:

يتفق كثيرٌ من الدارسين على أن أول مسرحية عربية أُلفِت ونالت نجاحا هي مسرحية "مصر الجديدة ومصر القديمة" ل: فرح أنطوَن، عام 1913 وهي مسرحية اجتماعية تصور عيوب المجتمع المصري تصويرا دقيقا، وتلت ذلك محاولات محمود تيمور الذي كان يميل لاستخدام اللهجة العامية في مسرحياته، خاصة في أعماله الأولى.

وفي نهاية القرن العشرين ظهرت بوادر التأليف المسرحي من خلال كتابات توفيق الحكيم في: أهل الكهف، شهرزاد، وعصفور من الشرق وعودة الروح، سليمان الحكيم، الملك أوديب، السلطان الحائر، وإبراهيم رمزي في: الحاكم بأمر الله، أبطال المنصورة، بنت الإخشيد، وفرح أنطوَن في: صلاح الدين، مملكة أورشليم، وسعد الله ونوس في: الملك هو الملك وملحمة السراب والرسول المجهول في مأتم أنتيغونا، وعلي أحمد باكثير في: هاروت وماروت، همام في عاصمة الأحقاف، الثائر الأحمر، مسمار جحا.

تجربة توفيق الحكيم المسرحية:

يعد توفيق الحكيم من رواد المسرح العربي، وله فضل كبير في إرساء قواعد الأدب المسرحي ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي قاطبة، وامتد تأثيره لأجيال متعاقبة من الأدباء والمبدعين، وتعد مسرحية "الضيف الثقيل" أول تجربة مسرحية له؛ إذ أخرجها سنة 1919 م غير أنها مفقودة، أما أول مسرحية كاملة وصلتنا من فنه فهي "المرأة الجديدة" وظهرت سنة 1923 م.

وشغف الحكيم بالمسرح جعله يؤلف فيه أكثر من غيره من الأدباء، مستغلا ما توفر له من اطلاع على الثقافة الغربية وإتقانه اللغة الفرنسية، ولقد صنّف الدارسون إنتاجه المسرحي الذي بلغ أربعا وعشرين (24) مسرحية إلى أربعة مجالات:

- يتمثل الأول في المسرح الذهني ويضم مسرحيات "أهل الكهف" 1933 م، "شهرزاد" 1924 م، "بيجماليون" 1942 م، "سليمان الحكيم" 1949 م، "الملك أوديب" 1949 م، "إيزيس" 1955 م، "رحلة إلى بغداد" 1958 م و"السلطان الحائر" 1961 م.
- أما المجال الثاني فيتمثل في المسرح الاجتماعي، ويندرج تحته عدد من المسرحيات القصيرة والطويلة منها "حياة تحطمت"، "الخروج من الجنة"، "رصاصة في القلب"، "العش الهادئ"، "الأيدي الناعمة" و"الصفقة".
- واختص الاتجاه الثالث بالمسرح المنوّع، وهو أشبه بمقالات مسرحية جاءت في صورة حوار كان ينشرها في الصحف، ثم نشرها في كتاب عام 1955 م.
- في حين كان الاتجاه الرابع هو مسرح اللامعقول

ويندرج تحته مسرحية "يا طالع الشجرة"، "رحلة صيد"، "رحلة قطار".

ملاحظة: عُرف توفيق الحكيم بمسرحه الذهني، وهو عبارة عن أعمال مسرحية مستوحاة من الأساطير الإغريقية مثل "الملك أوديب"، ومن القصص الديني مثل "أهل الكهف"، ومن ألف ليلة وليلة مثل "شهرزاد"، وغيرها من المسرحيات المستوحاة من نفس المصادر والتي تأخذ نفس المنحى والمدلول.

مسرح اللامعقول يقابله الكثير من مصطلحات التي تدل عليه من بينها: مسرح العبث، والمسرح المضاد، ومسرح الطليعة، واللاوعي، و المسرح التجريبي، مسرح السخرية، و الكوميديا السوداء و غيرها...، و قد انطبع مسرح اللامعقول بعدة خصائص جعلته يقطع عما سبقه من مدارس ومذاهب مسرحية، فهو يعد ثورة حقيقية عما كان سائدا قبله، و من هذه الخصائص:

- تحطيم قانون الوحدات الثلاث المعروف في المسرح الأرسطي.
- مسرح اللامعقول يشخص عادة فكرة غياب المعنى والمنطق في العالم.
- يعد رد فعل على المسرح البرجوازي والواقعي.
- رمزية الحدث والشخصية والحوار.
- إفراغ اللغة من محتوياتها الكلامية فهي مجرد أصوات بلا معنى.
- المزج بين الكوميديا والتراجيديا فيما يسمى الكوميديا السوداء.

-غموض الشخصيات وعدم امتلاكها أبعادا واضحة.

– استعمال ديكورات و أكسسوارات خفيفة وموحية.

– تغييب المرأة للتعبير عن التهميش الذي تعيشه.

– قصر مدة المسرحية فبعضها أقرب إلى السكاتشات .

– المراهنة على الخيال والحلم في تشخيص الواقع .

– مسرح اللامعقول عادة ما يرفض المنطق لأنه يراه غير مجد ولا نافع، فيعرض لنا شخصيات تتصرف بطريقة غير معقولة.

-يحاول مسرح اللامعقول خلق علاقة حيوية بين العرض والجمهور من خلال اقتراح تجربة فريدة من نوعها هي تجربة اللامعنى بهدف خلق الإحساس بالقلق الوجودي والتوتر النفسي لدى المتفرجين.

– هو مسرح الصدمة والإدهاش بعرض وضعيات وشخصيات لا يوجد أي ترابط بينها.

– الشخصيات الرئيسية في هذا المسرح ليسوا أبطالا بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، بل هم ضعفاء وعاجزون عن فعل أي شيء عما يواجهونه، فنراهم يتقبلون كل ما يحدث لهم بدون أن تكون لديهم القوة حتى لمواجهة أنفسهم أو مواجهة الشخصيات الأخرى في المسرحية.

– الاستعانة بمختلف الفنون، وأشكال التعبير الفني واستعمالها في العرض المسرحي.

– غالباً ما تبدأ المسرحية بنقطة اعتباطية، وتنتهي بشكل اعتباطي، من حيث بدأت في شكل دائري، يجعل المسرحية دائرة مفرغة تدور حول محور ثابت في زمن مطلق.

يقول توفيق الحكيم: "إني اليوم أقيم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارا تتحرك في المطلق من المعاني، مرتدية أثواب الرموز، لهذا اتسعت الهوة بيني وبين المسرح.

تتجلى مقدرة توفيق الحكيم الفنية في قدرته على الإبداع وابتكار الشخصيات، وتوظيف الأسطورة والتاريخ على نحو متقن، ما يكشف عن مهارة وتمرس وإتقان وحسن اختيار للقالب الفني الذي يصب فيه إنتاجه، بالإضافة إلى تنويع مستويات الحوار لديه بما يناسب كل شخصية من شخصياته، ويتفق مع مستواها الفكري والاجتماعي.